كتب الفراشة - حكايات محبوبة



الابْنُ الطَّيِّبُ وَأُخَواهُ الجَحُودانْ

هٰذِهِ «حِكاياتٌ مَحْبوبَةٌ» رائِعَةٌ يُحِبُّها أَبْناؤُنا ويَتَعَلَّقونَ بِها. فالصِّغارُ مِنْهُمْ يَتَشَوَّقونَ إلى سَماعِ والِدِيهِمْ يَرْوونَها لَهُمْ؛ والقادِرونَ مِنْهُمْ عَلى القِراءَةِ يُقْبِلونَ عَلَيْها بِلَهْفَةٍ وشَوْقٍ، فَيَتَمَرَّسونَ بِالقِراءَةِ ويَسْتَمْتِعونَ بِالحِكايَةِ. وهُمْ جَميعًا يَسْعَدونَ بِالتَّمَتُّعِ بِالرُّسومِ المُلَوَّنَةِ البَديعَةِ الَّتي تُساعِدُ عَلى إثارَةِ الخَيالِ وتَكْمِلَةِ الجَوِّ القَصَصِيِّ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُساعِدُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ الصَّحيحَةِ.

الابْنُ الطَّيِّبُ
وَأخَوَاهُ الجُحُودَانْ

أعادَ حِكايتَها : عَبْدُاللّه أبو مِدْحَت

مُراجَعة : أحمد شفيق الخطيب



مكتبة لبنان



في رُبوعِ مِصْرَ العَظيمةِ عاشَ تاجِرٌ مُوسِرٌ اسْمُهُ الشَّيْخُ عُمَرُ وزَوْجَتُهُ عِيشَةً راضِيَةً. وكانَ لَهُما ثَلاثَةُ أَوْلادٍ، أَكْبَرُهُمْ سالِمٌ وثانيهِمْ سَليمٌ والأَصْغَرُ الشّاطِرُ خَضِرٌ.

وكانَ الشّاطِرُ خَضِرٌ عَلى الدَّوامِ، بِخِلافِ أَخَوَيْهِ، ابْنًا صالِحًا **بارًّا** بِوالِدَيْهِ يُحِبُّهُما ويَحْتَرِمُهُما. وقَدْ أَكْسَبَهُ ذلِكَ عَطْفًا ومَعَزَّةً فائِقَيْنِ عِنْدَ الأَبَوَيْنِ - مِمّا أَثارَ **حَفيظَةَ** أَخَوَيْهِ وحَسَدَهُما، بَلْ وكُرْهَهُما لَهُ.

وحِينَ تَقَدَّمَ العُمْرُ بِالشَّيْخِ عُمَرَ وشَعَرَ **بِالوَهْنِ** يَدِبُّ في جَسَدِهِ خَشِيَ إِنْ هُوَ ماتَ بِلا وَصِيَّةٍ أَنْ يَخْسَرَ الشّاطِرُ خَضِرٌ نَصيبَهُ العادِلَ مِنَ الميراثِ بِتَدابيرِ أَخَوَيْهِ الشَّيْطانِيَّةِ. لِذلِكَ أَوْصى الشَّيْخُ بِتَقْسيمِ ثَرْوَتِهِ، عِنْدَ وَفاتِهِ، إلى أَرْبَعَةِ أَقْسامٍ: قِسْمٍ لِكُلٍّ مِنْ أَوْلادِهِ الثَّلاثَةِ، والرّابِعُ الباقي يَكونُ نَصيبَ زَوْجَتِهِ.

★ الكَلِماتُ المَطْبوعَةُ بِحِبْرٍ مُشْبَعٍ، مَشْروحَةٌ في مَسْرَدٍ في آخِرِ الكِتابِ.

وَهٰكَذا كانَ. فَما هِيَ إلّا بِضْعَةُ أَشْهُرٍ حَتّى تُوُفِّيَ الشَّيْخُ عُمَرُ، وَنُفِّذَتِ الوَصِيَّةُ حَسَبَ إرادَتِهِ.

لٰكِنَّ سالِمًا وَسَليمًا سُرْعانَ ما طَعَنا في الوَصِيَّةِ بِحُجَّةِ أَنَّ خَضِرًا نالَ أَكْثَرَ مِمّا يَسْتَحِقُّ، وَقَرَّرا الاِسْتيلاءَ عَلى ميراثِهِ.

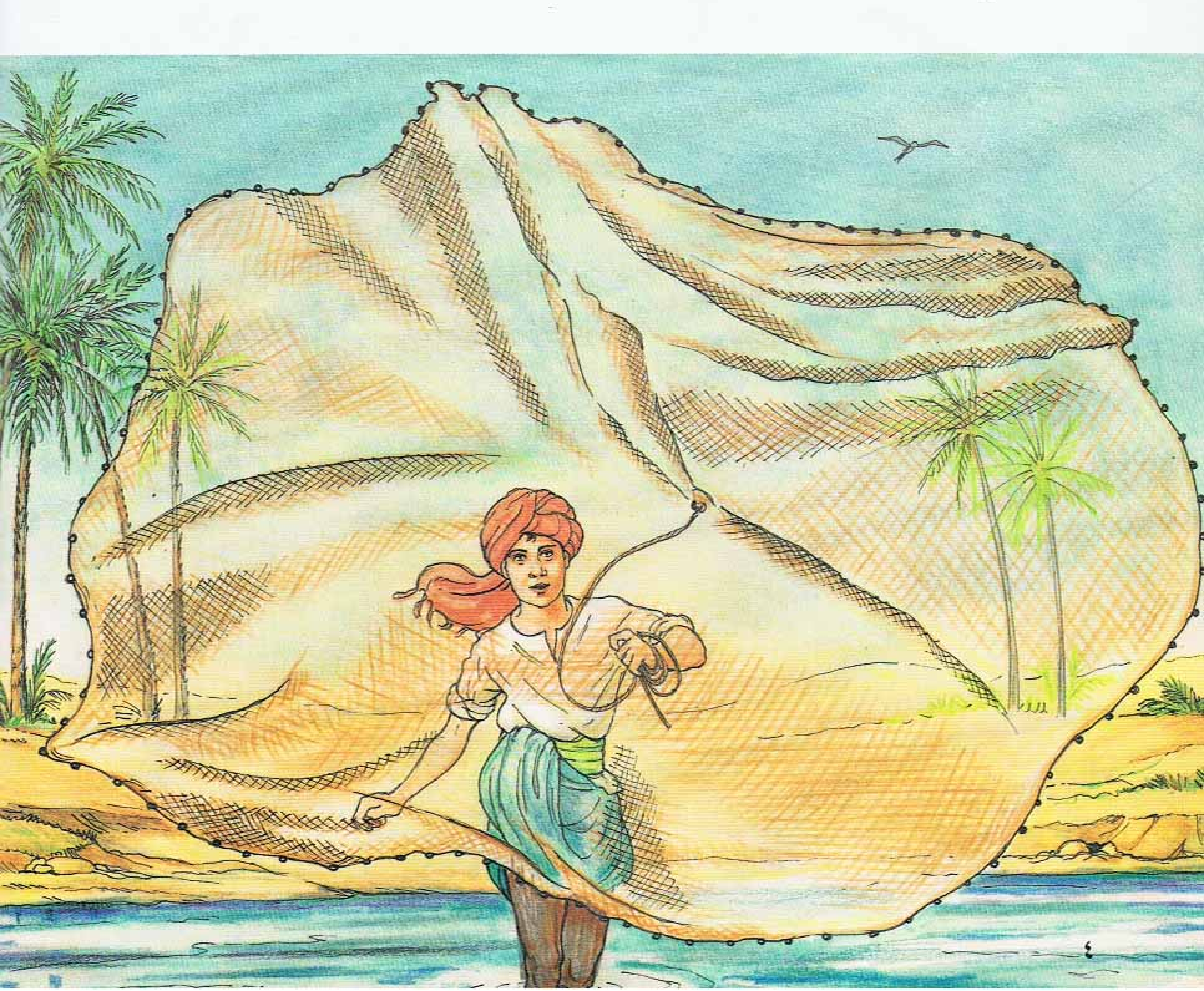
وَبَعْدَ أَنْ بَذَّرَ سَليمٌ وَسالِمٌ ثَرْوَتَهُما، راحا يُلاحِقانِ شَقيقَهُما الأَصْغَرَ لِيُنْفِقَ عَلَيْهِما مِنْ مالِهِ المَوْروثِ. وَقَدْ نَجَحا في ذٰلِكَ نَظَرًا لِكَرَمِ الشّاطِرِ خَضِرٍ وَطيبَتِهِ. وَهٰكَذا أَصْبَحَ الإِخْوَةُ ثَلاثَتُهُمْ بِلا مالٍ.



وَهُنا تَحَوَّلَ سالِمٌ وَسَليمٌ إلى والِدَتِهِما فَاسْتَوْلَيا على ما لَدَيْها مِنْ مالٍ بِالمُراوَغَةِ وَالحيْلَةِ ، ثُمَّ طَرَداها مِنْ بَيْتِها .

وَانْطَلَقتِ الأُمُّ ذاهِلَةً كَئيبَةً إلى بَيْتِ الشّاطِرِ خَضِرٍ وَأَخْبَرَتْهُ بِما جَرى . فَقالَ خَضِرُ بِأَسًى : «ما فَعلَهُ أَخَوايَ يَكادُ لا يُصَدَّقُ . لٰكِنْ لَيْسَ لَنا أَنْ نَدينَهُما ، بَلْ نَتْرُكُ أَمْرَهُما إلى الدَّيّانِ العَظيمِ - لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ . اُمْكُثي مَعي ، وَسَأَتَدَبَّرُ أَمْرَنا ، وَسَأَتَّكِلُ عَلى اللهِ وَأَبْدَأُ حَياةً جَديدَةً مِنَ الغَدِ إنْ شاءَ اللهُ» .

وَفي اليَوْمِ التّالي اسْتَعارَ خَضِرٌ شَبَكَةَ صَيْدٍ ، وَراحَ يَسْرَحُ بِها إلى البُحَيْراتِ باكِرًا في كُلِّ يَوْمٍ .





وَحالَفَ حُسْنُ الحظِّ الشّاطِرَ في مِهْنَةِ الصَّيْدِ. فكانَ يعودُ كُلَّ يَوْمٍ بِصَيْدٍ وَفيرٍ مِنَ السَّمكِ كَفَلَ لَهُ دَخْلًا يُمَكِّنُهُ، بِحُسْنِ التَّدْبيرِ، مِنَ العَيْشِ هانِئًا مَعَ والِدَتِهِ.

وَلَمْ يَطُلِ الوَقْتُ بِسالِمٍ وَسَليمٍ حَتّى وَدَّرا مالَ أُمِّهِما وَعادا مُعْدِمَيْنِ بائِسَيْنِ. فَراحا يَطوفانِ في شَوارِعِ المَدينَةِ بِثِيابٍ رَثَّةٍ يَتَسَوَّلانِ الطَّعامَ مِنَ الغُرَباءِ.

وَفي ذاتِ يَوْمٍ صادَفَتْهُما أُمُّهُما في السّوقِ، فَتَأَلَّمَتْ لِحالِهِما. وَدَفَعَتْها رِقَّةُ قَلْبِها، رُغْمَ كُلِّ ما أَصابَها مِنْهُما، إلى دَعْوَتِهِما إلى بَيْتِها حَيْثُ قَدَّمَتْ لَهُما بَقايا طَعامٍ مِنْ مُخَلَّفاتِ اليَوْمِ السّابِقِ.



وَداوَمَ الأَخوانِ التَّرَدُّدَ يَوْمِيًّا على بَيْتِ الأُمِّ لِتَناوُلِ ما يَتَيَسَّرُ لَدَيْها مِنْ بَقايا الطَّعامِ. وَكانا، بِتَوْجيهٍ مِنْ والِدَتِهِما، يَنْتَظِرانِ خُروجَ الشّاطِرِ خَضِرٍ إلى الصَّيْدِ لِيَحْضُرا إِلَيْها، وَيَنْصَرِفانِ قَبْلَ عَوْدَتِهِ. لَقَدْ كانَتِ الأُمُّ تَخْشَى غَضْبَةَ خَضِرٍ إِنْ هُوَ عَلِمَ أَنَّها تُطْعِمُهُما مِنْ جَنَى يَدَيْهِ.

وَفي أَحَدِ الأَيّامِ عادَ الشّاطِرُ باكِرًا عَلى غَيْرِ عادَتِهِ، فَرَأَى أَخَوَيْهِ يَلْتَهِمانِ ما تُقَدِّمُهُ لَهُما الأُمُّ أَمامَ بابِ المَطْبَخِ. فَارْتَبَكَتِ الأُمُّ حَرَجًا وَخَجَلًا، بَيْنَما **طَأْطَأَ** الأَخَوانِ رَأْسَيْهِما مُبْتَسِمَيْنِ بِعَصَبِيَّةٍ ظاهِرَةٍ.



وَهَتَفَ خَضِرٌ بِحَرارَةٍ : «أَهْلًا بِالعَزيزَيْنِ ! مَرْحَبًا بِكُما ! تَفَضَّلا وَاسْتَريحا ، كَمْ أَنا سَعيدٌ بِرُؤْيَتِكُما ثانِيَةً » .

فَرَدَّ سالِمٌ : «واخَجْلَتاهْ ! لَقَدْ بَلَغَ الخَجَلُ بِنا مِمَّا فَعَلْناهُ أَنّا لَمْ نَعُدْ نَجْرُؤُ عَلى زِيارَتِكَ ، لٰكِنْ ... »

فَقاطَعَهُ خَضِرٌ قائِلًا : «كَفى ! ما فاتَ فاتَ . تَبْقَيانِ مَعَنا عَلى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ تُشارِكانِنا رِزْقَنا المُتَواضِعَ » .

وَهٰكَذا راحَ سالِمٌ وَسَليمٌ يَنْعَمانِ بِالطَّعامِ وَالنَّوْمِ يَوْمِيًّا في بَيْتِ الشّاطِرِ خَضِرٍ ، بَيْنَما هُوَ يَجِدُّ في صَيْدِ السَّمَكِ مِنَ الفَجْرِ حَتّى الغَسَقِ .

وَمَرَّتْ أَسابيعُ . ثُمَّ جاءَ يَوْمٌ عاكَسَ الحَظُّ فيهِ الشّاطِرَ فَلَمْ يَصْطَدْ شَيْئًا طَوالَ نَهارِهِ . لٰكِنَّهُ في طَريقِ العَوْدَةِ مَرَّ عَلى الخَبّازِ وَاسْتَدانَ طَعامَ يَوْمِهِ واعِدًا إِيّاهُ السَّدادَ في اليَوْمِ التّالي .

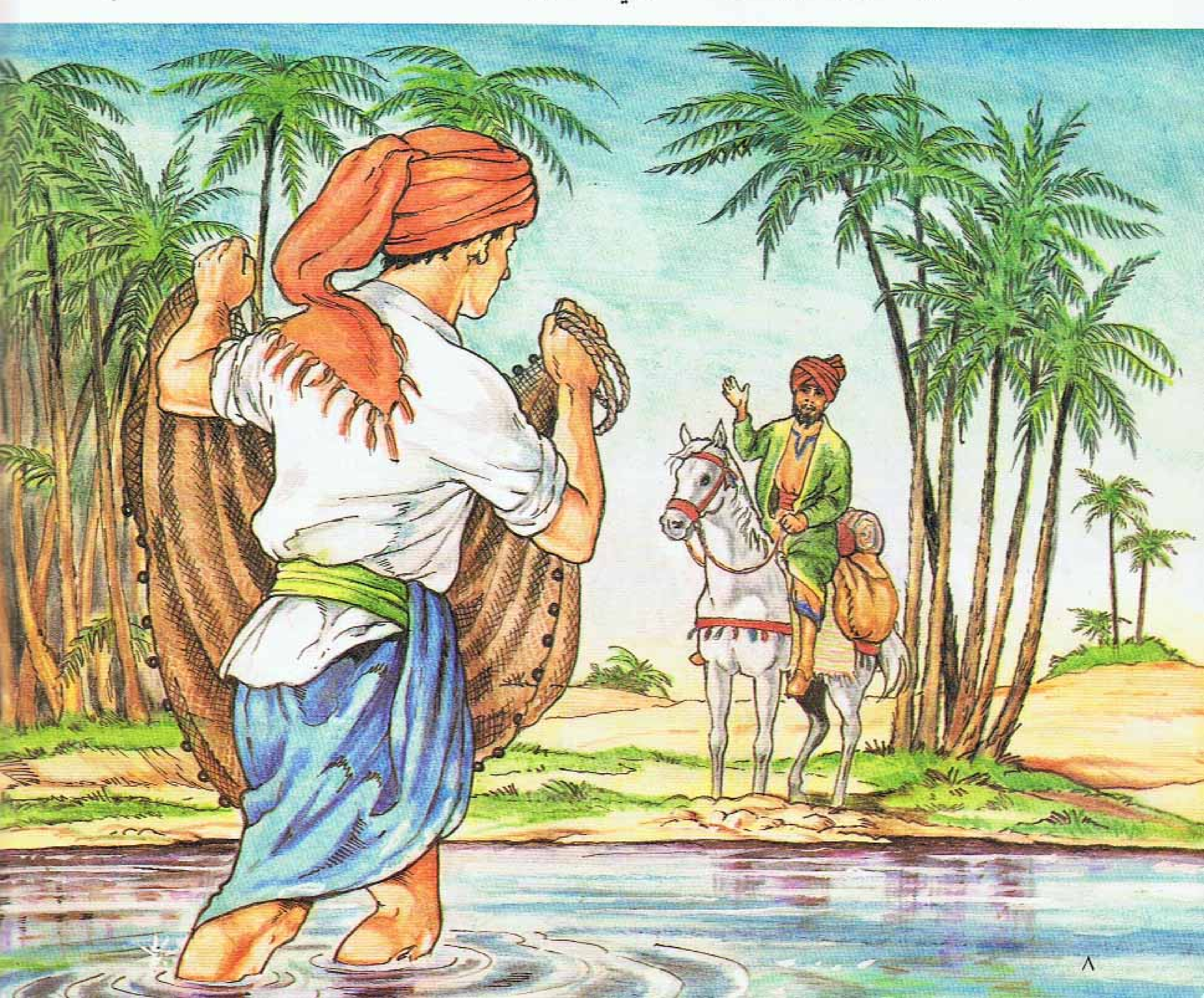
وَلَمْ تَكُنِ الحالُ أَفْضَلَ في اليَوْمِ التّالي وَلا في اليَوْمِ الَّذي بَعْدَهُ – وَدامَ انْقِطاعُ الصَّيْدِ الأُسْبوعَ بِكامِلِهِ . وَكادَ اليَأْسُ يَدِبُّ إِلى قَلْبِ الشّاطِرِ خَضِرٍ . لٰكِنَّهُ قَرَّرَ التَّحَوُّلَ إِلى بُحَيْرَةٍ أُخْرى – فَوَقَعَ اخْتِيارُهُ عَلى بُحَيْرَةِ قارونَ .

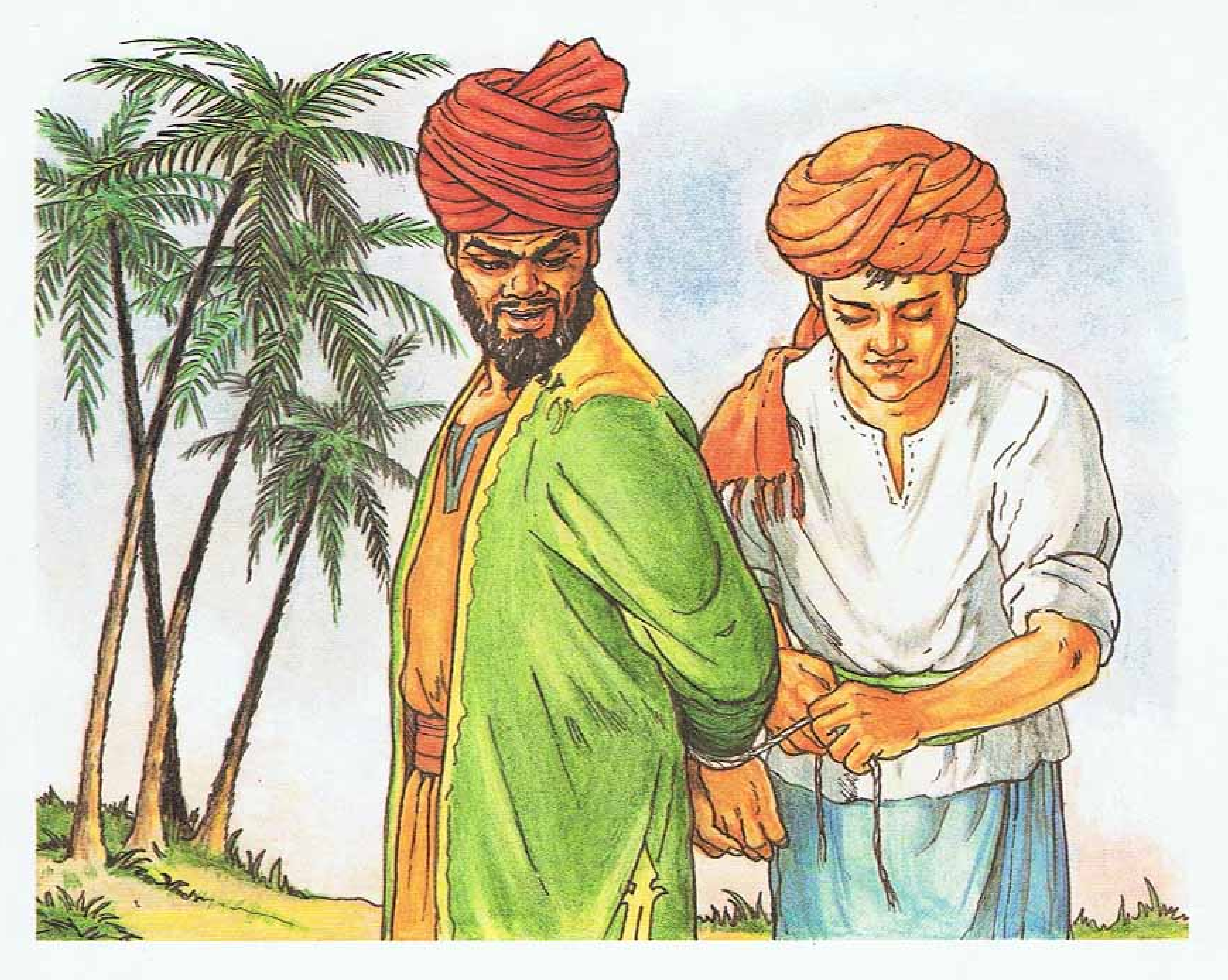
وبَكَّرَ خضِرٌ إلى بُحَيْرَةِ قارونَ ، فَحلَّ شَبكَتَهُ **وَخوَّضَ** في الماءِ ، وَعَيْناهُ تتحرَّيانِ أَسْرابَ السَّمَكِ. وَما إنْ هَمَّ بِإِلْقاءِ الشَّبكَةِ في الماءِ حتّى سَمِعَ صَوْتًا يُناديْهِ مِنَ الشّاطِئِ. كانَ المُنادِي مَغْرِبيًّا في أَبْهَى الثِّيابِ يَمْتَطي صَهْوَةَ **بِرْذَوْنٍ** أَبْيَضَ.

اِلْتَفَتَ الشّاطِرُ نَحْوَ مُنادِيْهِ الّذي فاجَأَهُ بِقَوْلِهِ : «أَنْتَ خضِرُ الصَّيّادُ ، أَلَيْس كَذٰلِكَ؟» . **فَأَوْمَأَ** خضِرٌ بِالإيجابِ مُسْتَغْرِبًا مَعْرِفَةَ الغَريبِ بِهِ.

وَتابَعَ المَغْرِبِيُّ قائِلًا : «إنِّي قاصِدُكَ في أَمْرٍ ، لَيْسَ هُوَ عَلَيْكَ بِعَسيرٍ . وَلَكَ عِنْدي مُقابِلَهُ مُكافَأَةٌ عَظيمَةٌ» .

فَرَدَّ الشّاطِرُ خضِرٌ عَلى التَّوِّ : «سَلْني ما تُريدُ» .





«مَطْلَبي» ، قالَ المَغْرِبيُّ «هُوَ أَنْ تُقَيِّدَ يَدَيَّ بِهٰذا الحَبْلِ الحَريرِيِّ وَتَقْذِفَني في عُمقِ البُحَيْرَةِ ، ثُمَّ تَنْتَظِرَ بُرْهَةً – فَإذا رَأَيْتَني أُخْرِجُ يَدَيَّ المُقَيَّدَتَيْنِ فَوْقَ الماءِ تَقْذِفُ شَبَكَتَكَ وَتَجُرُّني إلى الشّاطِئِ الأَمينِ. أَمّا إنْ رَأَيْتَ قَدَمَيَّ تَطْفُوانِ قَبْلَ رَأْسِي وَيَدَيَّ فَسَتَعْلَمُ أَنّني أَشْرَفْتُ عَلى الغَرَقِ. وَفي هٰذِهِ الحالِ بِرْذَوْني وَما يَحْمِلُهُ حَلالٌ لَكَ» .

اِسْتَغْرَبَ الشّاطِرُ خَضِرٌ مَطْلَبَ المَغْرِبيِّ ، في قَيْدِ يَدَيْهِ وَرَمْيِهِ في قَعْرِ البُحَيْرَةِ ، مِمّا قَدْ يُعَرِّضُهُ لِلْهَلاكِ المُحَتَّمِ. لٰكِنَّهُ حُبًّا بِالمُغامَرَةِ وَالإثارَةِ قَيَّدَ يَدَيِ المَغْرِبِيِّ بِشِدَّةٍ وَقَذَفَ بِهِ في وَسَطِ البُحَيْرَةِ.

وَمَرَّتْ دَقائِقُ كَأَنَّها ساعاتٌ ، وَلَمْ يَلْحَظْ خَضِرٌ أَيَّ حَرَكَةٍ سِوى تَمَوُّجاتِ الماءِ **المُتَخافِتَةِ** في المَوْقِعِ الّذي أَلْقى المَغْرِبِيَّ فِيهِ. وَجالَتْ بِخاطِرِهِ خُطورَةُ وَعَواقِبُ ما فَعَلَتْ يَداهُ.



وَفَجْأَةً برزَ رَأْسُ المَغْرِبِيِّ وَكَتِفاهُ فَوْقَ سَطْحِ الماءِ ، وَراحَ يُلَوِّحُ بِذِراعَيْهِ وَفي قَبْضَتَيْهِ سَمَكَتانِ **تَتَبَرْعَصانِ** بِعُنْفٍ . وَأَخَذَ يَصْرُخُ :

«أَلْقِ شَبَكَتَكَ الآنَ يا خَضِرُ ، أَسْرِعْ !»

فَسَحَبَ الشّاطِرُ خَضِرُ المَغْرِبِـيَّ إلى الشّاطِئِ، وَساعَدَهُ عَلى وَضْعِ السَّمَكَتَيْنِ في صُنْدوقَتَيْنِ مُبَهْرَجَتَيِ الزَّخْرَفَةِ. وَهُنا الْتَفَتَ المَغْرِبِيُّ إلى الشّاطِرِ فَعانَقَهُ قائِلًا:

«أَنا مَدينٌ لَكَ بِحَياتي وَنَجاحي، فَما كانَ بِوُسْعي إِنْجازُ هٰذِهِ المُهِمَّةِ بِدُونِكَ».

وَسَأَلَ خَضِرُ مُسْتَفْسِرًا: «وَلٰكِنْ ما هِيَ هٰذِهِ المُهِمَّةُ أَيُّها المَغْرِبِيُّ؟ إِنِّي لا أَفْهَمُ شَيْئًا مِمّا يَحْدُثُ!».

فَابْتَسَمَ المَغْرِبِـيُّ مُطَمْئِنًا وَقالَ: «اِسْمي عَبْدُ الصَّمَدِ، وَأَنا مِنْ عائِلَةٍ اشْتُهِرَتْ بِأَعْمالِ الخِفَّةِ غَيْرِ المُؤْذِيَةِ. وَكانَ والِدي مُلِمًّا بِالكَثيرِ مِنْ أَسْرارِ الحَياةِ وَخَفايا هٰذِهِ المِهْنَةِ، وَقَدْ عَلَّمَني كُلَّ ذٰلِكَ بِالكامِلِ. أَمّا سِرُّ المِهْنَةِ فَسَيُعْطَى فَقَطْ إلى مَنْ يَمْلِكُ أَذْخارَ الشَّمَرْدَلِ الأَرْبَعَةَ. وَهٰذِهِ الأَذْخارُ هِيَ: كُرَةُ الأَفْلاكِ – الّتي تُمَكِّنُ مالِكَها مِنْ رُؤْيَةِ العالَمِ بِكامِلِهِ وَالتَّحَكُّمِ فيهِ، وَقارورَةُ الكُحْلِ – الّتي تَجْعَلُ كُنوزَ الأَرْضِ الخَفِيَّةَ تَتَكَشَّفُ لِعَيْنِ المُكْتَحِلِ مِنْها. وَسَيْفُ الصّاعِقَةِ – الّذي بِهِ يُهْزَمُ أَقْوى الجُيُوشِ، وَخاتَمُ لُبَّيْكَ – الّذي يَقومُ عَلى خِدْمَةِ مالِكِهِ جِنِّيُّ الرَّعْدِ الهَدّارِ.»

وَتابَعَ عَبْدُ الصَّمَدِ قِصَّتَهُ المُذْهِلَةَ قائِلًا : «هٰذِهِ الأَذْخارُ الأَرْبَعَةُ هِيَ تُراثٌ مِنَ المَلِكِ الأَحْمَرِ القَهّارِ. وَقَدْ حاوَلَ والِدي انْتِزاعَ سِرِّ هٰذِهِ الأَذْخارِ مِنْ وَلَدَيِ المَلِكِ وَوَرِيثَيْهِ، وَلٰكِنَّهُما فَرّا مِنْهُ فَتَحَوَّلا إلى سَمَكَتَيْنِ في بُحَيْرَةِ قارونَ، وَقَدْ تَوَصَّلْتُ بِمَواهِبي وَأَبحاثي إلى أَنَّ بِمَقْدوري اسْتِرْجاعَ السَّمَكَتَيْنِ وَاسْتِخْلاصَ السِّرِّ مِنْهُما بِمَعونَةِ صَيّادٍ اسْمُهُ الشّاطِرُ خَضِرٌ الّذي هُوَ أَنْتَ – فَلا أَحَدٌ سِواكَ بِإِمْكانِهِ التَّوَصُّلُ إلى هٰذِهِ الأَذْخارِ».

وَخَفَضَ عَبْدُ الصَّمَدِ صَوْتَهُ، ثُمَّ أَكْمَلَ بِنَظْرَةٍ مُسْتَعْطِفَةٍ : «لِذٰلِكَ، أَرْجوكَ أَيُّها الشّاطِرُ خَضِرٌ أَنْ تَثِقَ بي وَتُكْمِلَ بِمُرافَقَتي الجُزْءَ الأَخيرَ مِنْ هٰذِهِ المُهِمَّةِ».

وَعادَ خَضِرٌ بِأَفْكارِهِ إلى أُمِّهِ، فَأَخْبَرَ المَغْرِبِيَّ بِأَمْرِها، وَكَيْفَ أَنَّها لا مَوْرِدَ وَلا عَيْشَ لَها بِدُونِه. فَما كانَ مِنَ المَغْرِبِيِّ إلّا أَنْ أَعْطاهُ كِيسًا وَقالَ : «إِنْ كانَ هٰذا هُوَ هَمَّكَ، فَهٰذِهِ أَلْفُ دينارٍ مُساعَدَةً تَسُدُّ بِها أُمُّكَ حاجَتَها إلى حِينِ عَوْدَتِكَ مِنَ السَّفَرِ بِالكَثيرِ.»

فَحَمَلَ خَضِرٌ المالَ إلى أُمِّهِ. وَحِينَ أَخْبَرَها بِمَا حَدَثَ دَهِشَتْ وَجَزِعَتْ – وَغَمَرَها حُزْنٌ لِفِراقٍ لا تَعْرِفُ مَداهُ.





طَمْأَنَ الشّاطِرُ خَضِرٌ أُمَّهُ إلى أَنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَيْها قَريبًا سالِمًا غانِمًا ، ثُمَّ وَدَّعَها عائِدًا إلى بُحَيْرَةِ قارونَ حَيْثُ كانَ يَنْتَظِرُهُ عَبْدُ الصَّمَدِ. وَمِنْ هُناكَ انْطَلَقَ وَرَفيقَهُ المَغْرِبِيَّ في الرِّحْلَةِ الطَّويلَةِ إلى فاسَ وَمِكْناسَ في بِلادِ المَغْرِبِ.

وَبَعْدَ سَيْرٍ اسْتَغْرَقَ مُعْظَمَ النَّهارِ شَعَرَ خَضِرٌ بِالجوعِ وَالتَّعَبِ ، فَاسْتَفْسَرَ إِنْ كانَ صاحِبُهُ يَحْمِلُ شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ أَوْ إِنْ كانَ يُمْكِنُهُما التَّوَقُّفُ في أَقْرَبِ مَكانٍ لِشِراءِ ما يُؤْكَلُ. فَالْتَفَتَ عَبْدُ الصَّمَدِ مُجيبًا : «إِنْ كُنْتَ جائِعًا ، فَلَدَيَّ كُلُّ ما تَشْتَهي – مِنْ كَبابِ القُوزِي إلى الفِراخِ المُحَمَّرَةِ وَالأَرُزِّ ، وَما يَتْبَعُها مِنَ الحِمِّصِ وَالسَّلَطَةِ وَالخُبْزِ الطّازَجِ ...»

فَابْتَسَمَ خَضِرٌ على **مَضَضٍ** وَقاطَعَهُ قائِلًا : «لَيْسَ هٰذا وَقْتَ مُزاحٍ ، حَرامٌ أَنْ تُذَكِّرَني بِهٰذِهِ الأَطايِبِ في هٰذا القَفْرِ المُوحِشِ». لٰكِنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ تابَعَ بِجِدِّيَّةٍ : «إِنّي أَعْني ما أَقولُ ! هاتِ هٰذا الخُرْجَ ، وَسَنَرى ما لَدَيْنا فيهِ.»



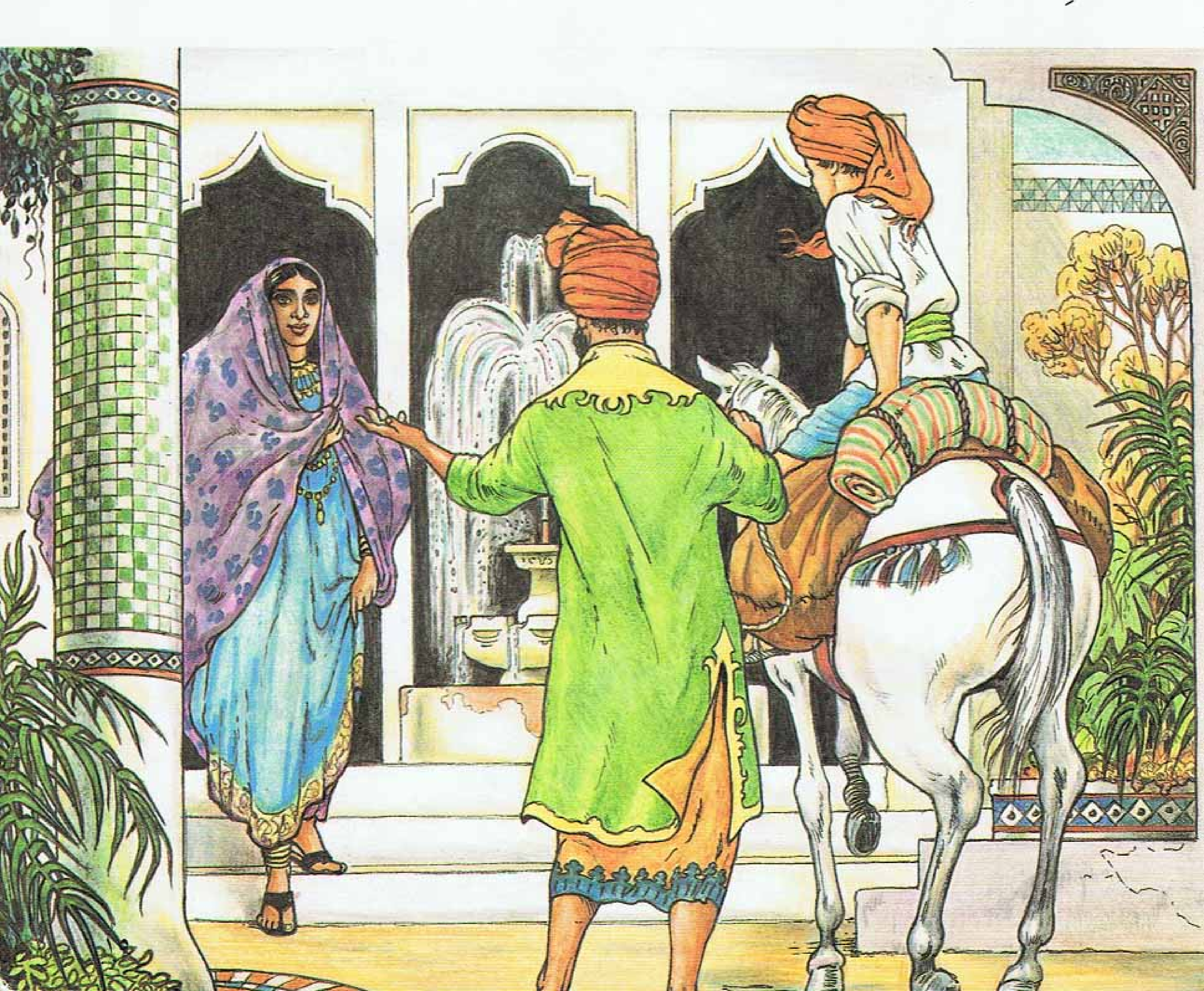
جَلَسَ الرَّفيقانِ في ظِلِّ صَخْرَةٍ عالِيَةٍ ، فَوَضَعَ خَضِرُ الخُرْجَ أَمامَ المَغْرِبِيِّ وَراحَ يَنْتَظِرُ. وَمَدَّ هٰذا يَدَهُ في إِحْدى عَيْنَتَي الخُرْجِ فَأَخْرَجَ صَحْفَةَ فِراخٍ مُحَمَّرَةٍ مُطَيَّبَةٍ بِشَرَحاتِ البَصَلِ وَالصَّلْصَةِ المُتَبَّلَةِ ، وَالبُخارُ يَتَصاعَدُ مِنْها . وَمَدَّ يَدَهُ ثانِيَةً فَأَخْرَجَ طَبَقًا مِنْ سَلَطَةِ الخَسِّ المُشَرَّبَةِ بِالحامِضِ وَالزَّيْتِ. وَكَرَّرَ هٰذا عِدَّةَ مَرّاتٍ حَتّى غَدا أَمامَهُما مَأْدُبَةٌ لَمْ يَشْهَدْ لَها خَضِرُ مَثيلاً مِنْ قَبْلُ.

وَفي غَمْرَةِ دَهْشَتِهِ تَمْتَمَ خَضِرُ بِصَوْتٍ مَسْموعٍ « يا لَهُ مِنْ خُرْجٍ رائِعٍ ! »
« إِنَّهُ خُرْجٌ عَجيبٌ » ، رَدَّ عَبْدُ الصَّمَدِ « وَخادِمُهُ طَبّاخٌ يَسْتَطيعُ تَحْضيرَ وَتَقْديمَ مِثْلِ هٰذِهِ الوَليمَةِ مَتى وَأَنّى شِئْنا . »

وَبَعْدَ أَنْ أَكَلا حَتّى التُّخْمَةِ واسْتَراحا قَليلًا ، قالَ عَبْدُ الصَّمَدِ : «غدًا نكونُ على أَبْوابِ فاسَ وَمِكْناسَ ، بِإِذْنِ اللهِ.» فَصَرَخَ خَضِرُ مُنْدَهِشًا «ماذا تَقولُ؟ إِنَّ الرِّحْلَةَ مِنْ مِصْرَ إلى المَغْرِبِ الأَقْصى تَسْتَغْرِقُ عامًا بِكامِلِهِ !»

فَأَجابَ عَبْدُ الصَّمَدِ : «إِعْلَمْ يا خَضِرُ أَنَّهُ بِمَقْدورِ بِرْذَوْني السَّيْرُ بِسُرْعَةِ البَرْقِ.» وَامْتَطَيا صَهْوَةَ البِرْذَوْنِ فَانْطَلَقَ بِهِما يَقْطَعُ الصَّحارِيَ وَ**الفَلَواتِ** بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ ، وَحَطَّ بِهِما في فاسَ وَمِكْناسَ.

وَفي اليَوْمِ التّالي ، وَفي قَصْرِ عَبْدِ الصَّمَدِ الفَخْمِ كانَتْ زَوْجَتُهُ في اسْتِقْبالِ زَوْجِها بِالتَّرْحابِ.





وَفي رِحابِ القَصْرِ ارْتاحَ الشّاطِرُ خَضِرٌ بِضْعَةَ أَيّامٍ بَيْنَما كانَ عَبْدُ الصَّمَدِ يُجْري اسْتِعْداداتِهِ الأَخيرَةَ لِلْمُهِمَّةِ الكُبْرى. وَأَخيرًا اسْتَدْعى عَبْدُ الصَّمَدِ الشّاطِرَ إلى مَكْتَبِهِ - في حُجْرَةٍ مُعْتِمَةٍ تَعِجُّ بِالكُتُبِ وَالأَدَواتِ العَجيبَةِ - وَخاطَبَهُ **بِتَأَنٍّ**: «وَالآنَ أَيُّها الشّاطِرُ خَضِرٌ هَلْ أَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لِلْقِيامِ بِالمَسيرَةِ الخَطِرَةِ بَحْثًا عَنْ أَذْخارِ الشَّمَرْدَلِ الأَرْبَعَةِ؟». فَأَوْمَأَ خَضِرٌ بِالإيجابِ.

وَتابَعَ عَبْدُ الصَّمَدِ: «لا بُدَّ لي مِنْ تَنْبيهِكَ إلى ما يَنْتَظِرُكَ، فَلَقَدِ اسْتَكْشَفْتُ المَسْلَكَ إلى الأَذْخارِ **بِالعَزائِمِ وَالرُّقى** - إنَّهُ سِرْدابٌ طَويلٌ فيهِ أَرْبَعَةُ أَبْوابٍ. وَعِنْدَ كُلِّ بابٍ مِنْها خَطَرٌ يَتَهَدَّدُ حَياتَكَ. فَإِذا لَمْ تَبْدُ عَلَيْكَ بَوادِرُ فَزَعٍ البَتَّةَ نَجَوْتَ وَسُمِحَ لَكَ بِالعُبورِ. هَلْ فَهِمْتَ؟». وَ أَوْمَأَ الشّاطِرُ بِالإيجابِ تَكْرارًا.

وَهُنا راحَ عَبْدُ الصَّمَدِ يُعَزِّمُ وَيُتَمْتِمُ رُقاهُ وَتَعاويذَهُ عَلى صُنْدوقَتَيِ السَّمَكَتَيْنِ اللَّتَيْنِ حَمَلَهُما مِنْ بُحَيْرَةِ قارونَ.

وَفَجْأَةً شَعَرَ خضِرٌ وَكَأَنَّ الأَرْضَ تَبْتَلِعُهُ وَأَنَّهُ يَهْبِطُ عَبْرَ الظُّلْمَةِ في هَواءٍ بارِدٍ رَطْبٍ.

ثُمَّ وَبِالمُفاجَأَةِ نَفْسِها وَجَدَ نَفْسَهُ في نِهايَةِ سِرْدابٍ تُنيرُهُ المَشاعِلُ وأَمامَهُ بابٌ خَشَبِيٌّ ضَخْمٌ. دَفَعَ الشّاطِرُ البابَ فَانْفَتَحَ بِهُدوءٍ.

وَمِنْ خِلالِ الظَّلامِ لَمَعَ نورٌ وَهّاجٌ كانَ بَريقَ سَيْفٍ هائِلٍ يُلَوِّحُ بِهِ عِمْلاقٌ يَتَقَدَّمُ نَحْوَ الشّاطِرِ مُسْرِعًا. وَتَذَكَّرَ الشّاطِرُ تَحْذيراتِ عَبْدِ الصَّمَدِ، فَوَقَفَ رابِطَ الجَأْشِ هادِئًا. وَمَرَّ السَّيْفُ يَئِزُّ في الهَواءِ. لَكِنْ في اللَّحْظَةِ الّتي كادَ السَّيْفُ يَجُذُّ رَأْسَ خَضِرٍ، اخْتَفى العِمْلاقُ فَجْأَةً وَسَقَطَ السَّيْفُ مُصَلْصِلاً عَلى الأَرْضِ.





وَتقدَّمَ الشّاطِرُ خَضِرٌ إلى البابِ الثّاني فَسَمِعَ زَئيرًا مُرْعِبًا. وَما إنْ فَتَحَ البابَ حتّى رَأى على نُورِ المَشاعِلِ أَنْيابًا ضَخْمَةً حادَّةً تَتوَعَّدُهُ. وَعَلى صَخْرَةٍ أَمامَهُ كانَ أَسَدٌ أَشْعَثُ ضَخْمٌ يَتحَفَّزُ لِلانْقِضاضِ عَلَيْهِ.

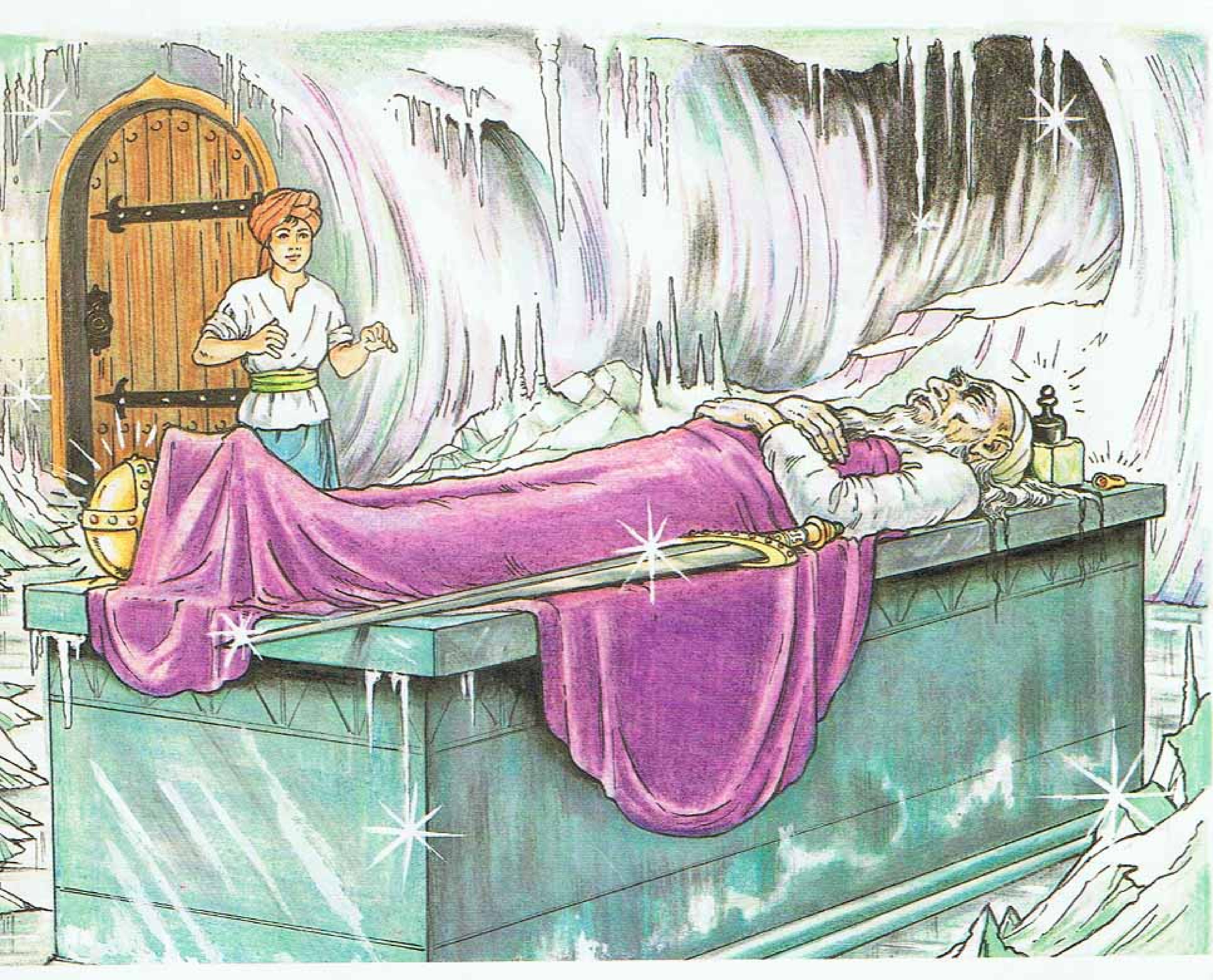
وَانْدفَعَ الأَسَدُ نَحْوَ الشّاطِرِ خَضِرٍ شاهِرًا مَخالِبَهُ الرَّهيبَةَ وَمُطْلِقًا زَئيرًا يُجمِّدُ الدَّمَ في العُروقِ.

لٰكِنَّ الشّاطِرَ، ذاكِرًا تَنْبيهاتِ عَبْدِ الصَّمدِ، ثَبَتَ غَيْرَ هَيّابٍ. وَفي اللَّحْظَةِ الَّتي شَعَرَ فيها بِأَنْفاسِ الأَسَدِ الحارَّةِ تَسْفَعُ خَدَّيْهِ تَلاشَى الأَسَدُ في الهَواءِ كَأَنَّهُ ما كانَ!

وَعِنْدَ البابِ الثّالِثِ انْدَفَعَ نَحْوَ الشّاطِرِ خَضِرٍ فارِسٌ مُدَجَّجٌ بِالسِّلاحِ شاهِرًا رُمْحَهُ أَمامَهُ. لٰكِنَّ الشّاطِرَ تَلَقّاهُ دُونَ خَوْفٍ أَوْ وَجَلٍ.

وَعِنْدَ البابِ الرّابِعِ وَجَدَ الشّاطِرُ نَفْسَهُ في حُجْرَةٍ تَموجُ بِالأَفاعِي الخَبيثَةِ **تَفُحُّ** مِنْ حَوْلِهِ، وَتَتَقَلَّبُ وَتَتَلَوّى حَوْلَ كاحِلَيْهِ. لٰكِنَّهُ ما بَدا عَلَيْهِ فَزَعٌ وَلا هَلَعٌ.

وَأَخيرًا وَصَلَ خَضِرٌ إلى كَهْفِ الشَّمَرْدَلِ. فَرَأَى المَلِكَ القَهّارَ مُسَجًّى في ناوُوسٍ حَجَرِيٍّ **صَقيلٍ** وَأَذْخارُهُ مِنْ حَوْلِهِ: كُرَةُ الأَفْلاكِ وَقارورَةُ الكُحْلِ وَالسَّيْفُ وَالخاتَمُ. فَجَمَعَها الشّاطِرُ خَضِرٌ بِسُرْعَةٍ وَقَفَلَ بِها عائِدًا عَلى عَجَلٍ عَبْرَ المَمَرِّ الّذي أَتى مِنْهُ.



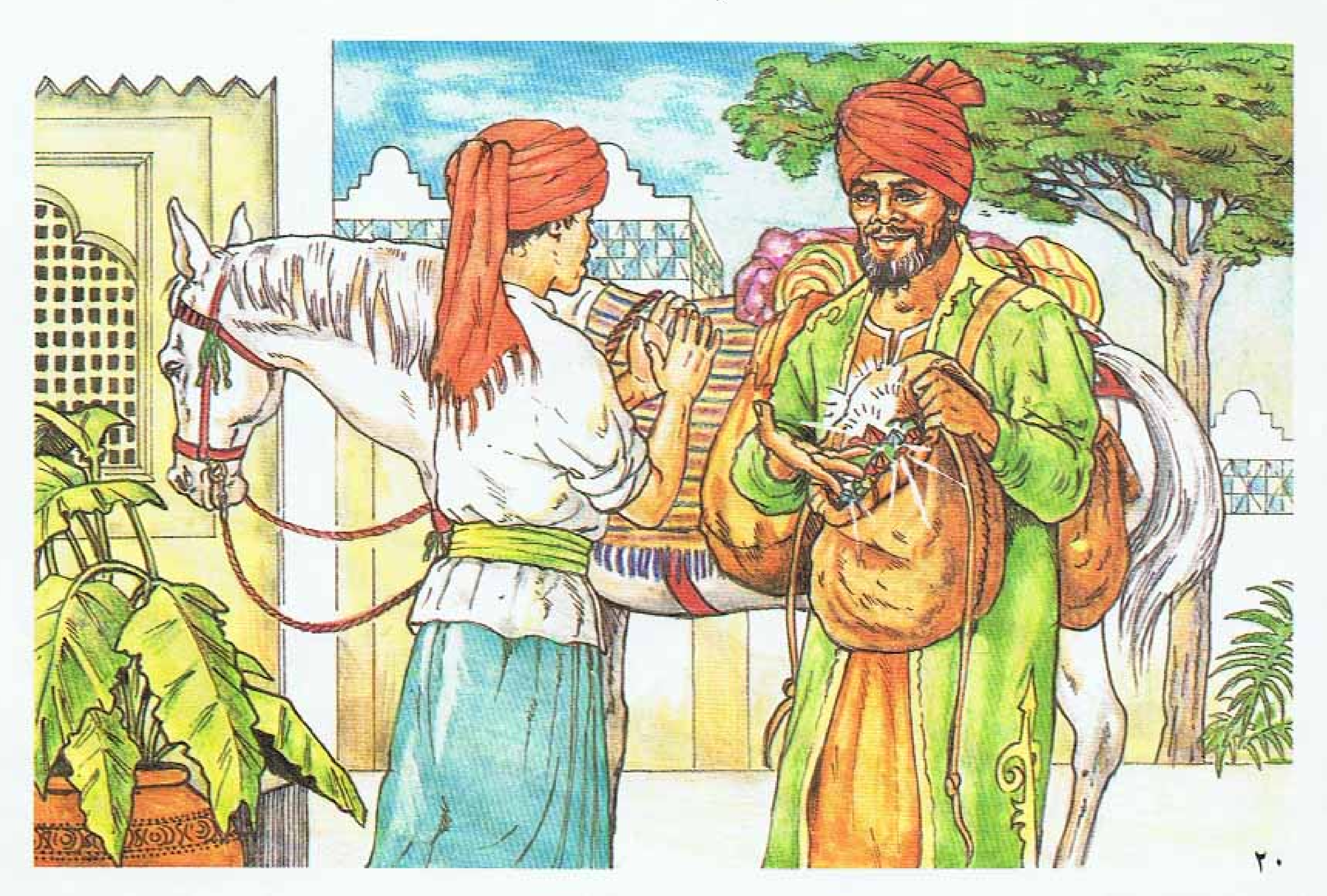
وَفي طَرْفَةِ عَيْنٍ وَجَدَ الشّاطِرُ خَضِرُ نَفْسَهُ يَقِفُ ثانِيَةً في مَكْتَبِ عَبْدِ الصَّمَدِ. فَعانَقَهُ هٰذا بِحَرارَةٍ قائِلًا: «الآنَ، وَبِفَضْلِ مُساعَدَتِكَ، أَصْبَحْتُ أَمْتَلِكُ المَفاتيحَ إلى أَسْرارِ الحَياةِ الكُبْرى. إنّي عاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ يا خَضِرُ! أَهْلًا بِكَ ضَيْفًا مُعَزَّزًا في بَيْتي!»

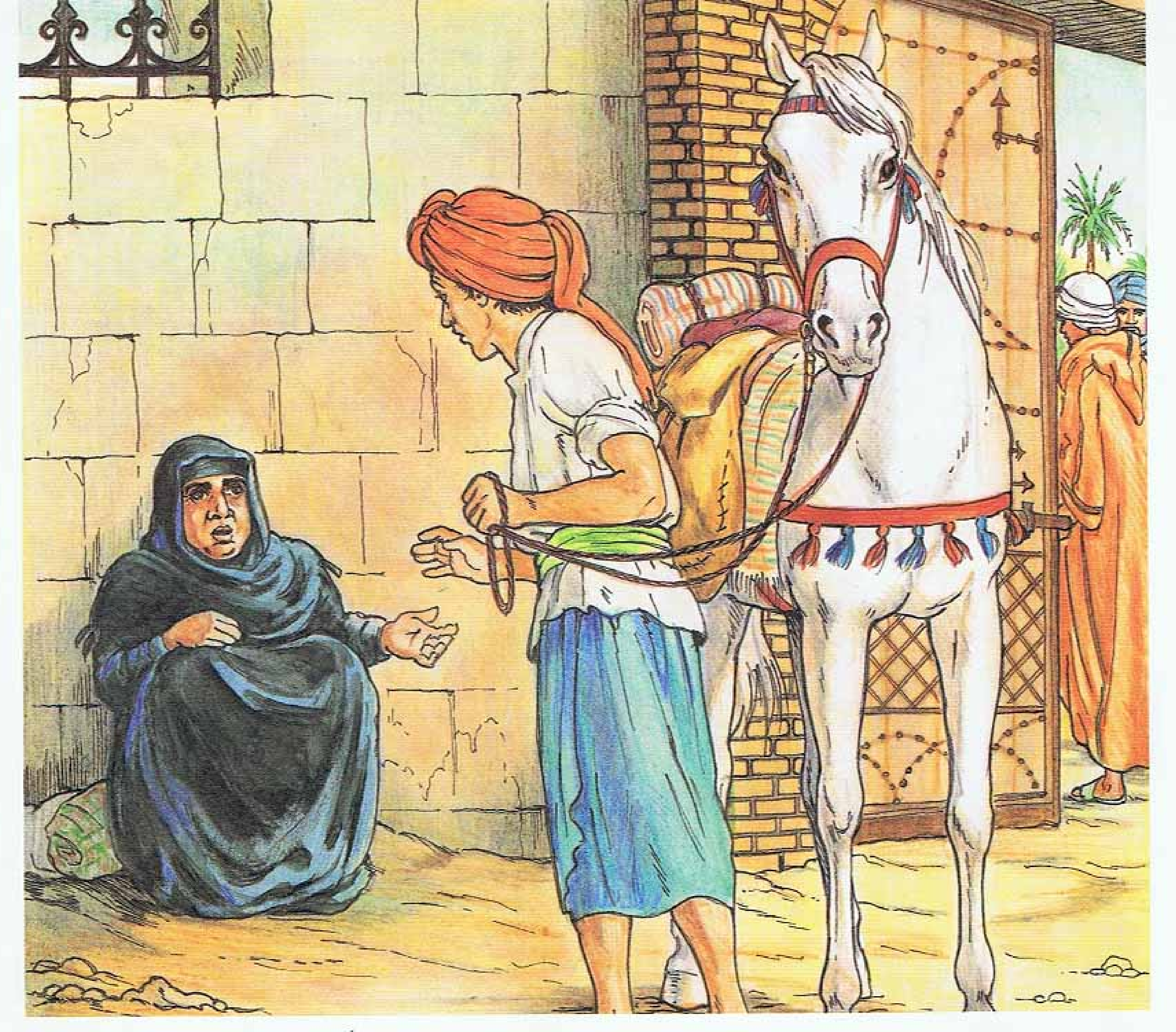
وَنَعِمَ خَضِرُ بِالرّاحَةِ في قَصْرِ عَبْدِ الصَّمَدِ الفَخْمِ، وَأَحْداثُ مُغامَرَتِهِ الرَّهيبَةُ لا تُفارِقُ ذاكِرَتَهُ. ثُمَّ عاوَدَهُ الحَنينُ إلى مِصْرَ لِلاطْمِئْنانِ عَلى والِدَتِهِ الحَبيبَةِ، فَاسْتَأْذَنَ عَبْدَ الصَّمَدِ بِالسَّفَرِ.

«حُبًّا وَكَرامَةً» قالَ عَبْدُ الصَّمَدِ. «سَيَحْمِلُكَ إلى وَطَنِكَ نَفَرٌ مِنَ الجانِ، لٰكِنْ لَيْسَ قَبْلَ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ شَيْئًا، تَعْبيرًا عَنِ امْتِناني البالِغِ. أُطْلُبْ وَتَمَنَّ يا خَضِرُ!»

فَأَجابَ الشّاطِرُ مُتَرَدِّدًا: «هٰذا لُطْفٌ مِنْكَ، وَإنّي لَأَتَساءَلُ إنْ كانَ بِوُسْعِكَ الاسْتِغْناءُ عَنْ ذاكَ الخُرْجِ العَجيبِ.»

فَقالَ عَبْدُ الصَّمَدِ: «هُوَ لَكَ، بِالإضافَةِ إلى خُرْجٍ آخَرَ مِنَ الجَواهِرِ». فَأَخَذَها خَضِرُ شاكِرًا وَانْطَلَقَ عائِدًا إلى الوَطَنِ!





وَقَبْلَ مَغيبِ شَمْسِ اليَوْمِ التّالي كانَ الشّاطِرُ خَضِرٌ على أَبْوابِ بَلْدَتِهِ. وَفي طَريقِهِ عَبْرَ المَدينَةِ رُوِّعَتْ مَشاعِرُهُ لِرُؤْيَةِ والِدَتِهِ تَجْلِسُ في زاوِيَةٍ حَقيرَةٍ وَيَدُها مَمْدودَةٌ تَسْتَجْدي الطَّعامَ مِنَ المارَّةِ.

هُرِعَ خَضِرٌ نَحْوَها فَبادَرَتْهُ بِتَأَوُّهٍ وَأَسًى دُونَ أَنْ تَعْرِفَهُ: «أَحْسِنْ بِالْقَليلِ أَيُّها الفارِسُ إلى عَجوزٍ مِسْكينَةٍ، يَرْحَمُكَ اللهُ!» فَرَفَعَها خَضِرٌ عَنِ الأَرْضِ وَنَفَضَ عَنْها الغُبارَ وَأَرْكَبَها على فَرَسِهِ. ثُمَّ انْطَلَقَ بِها إلى فُنْدُقٍ قَريبٍ حَيْثُ قَدَّمَ لَها وَجْبَةً شَهِيَّةً مِنْ خُرْجِهِ العَجيبِ.

وَما إنْ أَكَلَتْ وَشَبِعَتْ حَتّى اسْتَعادَتْ بَعْضَ نَشاطِها. وَحينَئِذٍ فَقَطْ عَرَفَتْ مَنْ هُوَ فارِسُها.



وَراحَتْ أُمُّ الشّاطِرِ خَضِرٍ تَرْوي لَهُ حِكايَتَها المُؤْسِفَةَ، وَكَيْفَ أَخَذَ سالِمٌ وَسَليمٌ الأَلْفَ دينارٍ مِنْها بِالحيلَةِ ثُمَّ طَرَداها خارِجَ المَنْزِلِ دُونَ أَنْ تَحْمِلَ مَعَها مِنْهُ شَيْئًا.

فَطَيَّبَ خَضِرٌ خاطِرَها قائِلًا: «لا تَغْضَبي أَوْ تَحْقِدي عَلَيْهِما. أُتْرُكي أَمْرَهُما إلى اللهِ. اَلْحَمْدُ للهِ عَلى أَنَّ لَدَيْنا ما يَكْفينا وَيَزيدُ. فَفي خُرْجِ الجَواهِرِ هٰذا ثَرْوَةٌ طائِلَةٌ، وَبِمَقْدورِ هٰذا الخُرْجِ العَجيبِ تَزْويدُنا بِكُلِّ ما نَحْتاجُهُ أَوْ نَشْتَهيهِ مِنْ طَعامٍ.»

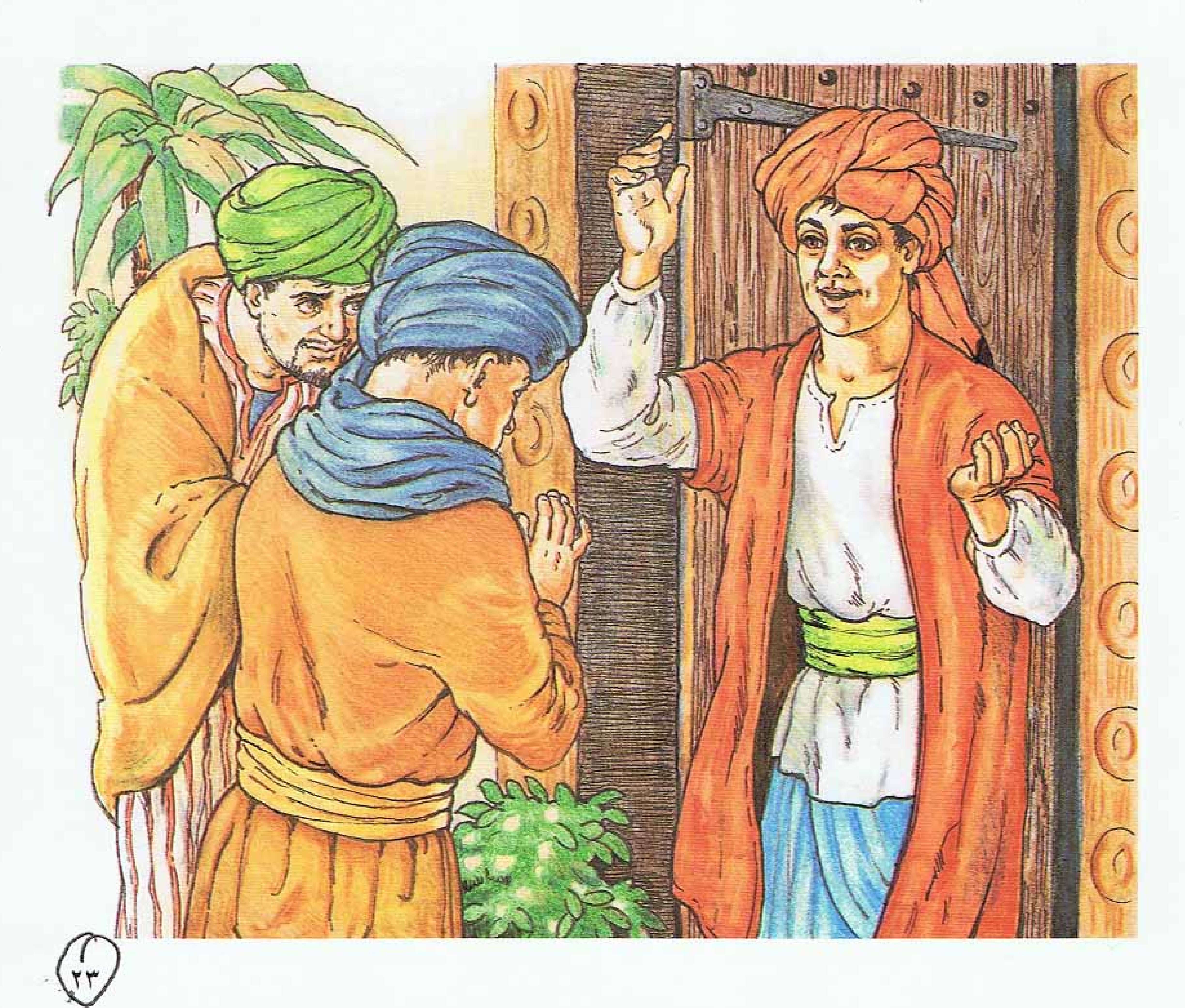
ثُمَّ راحَ الشّاطِرُ خَضِرٌ يَرْوي لِوالِدَتِهِ تَفاصيلَ رِحْلَتِهِ الغَريبَةِ.

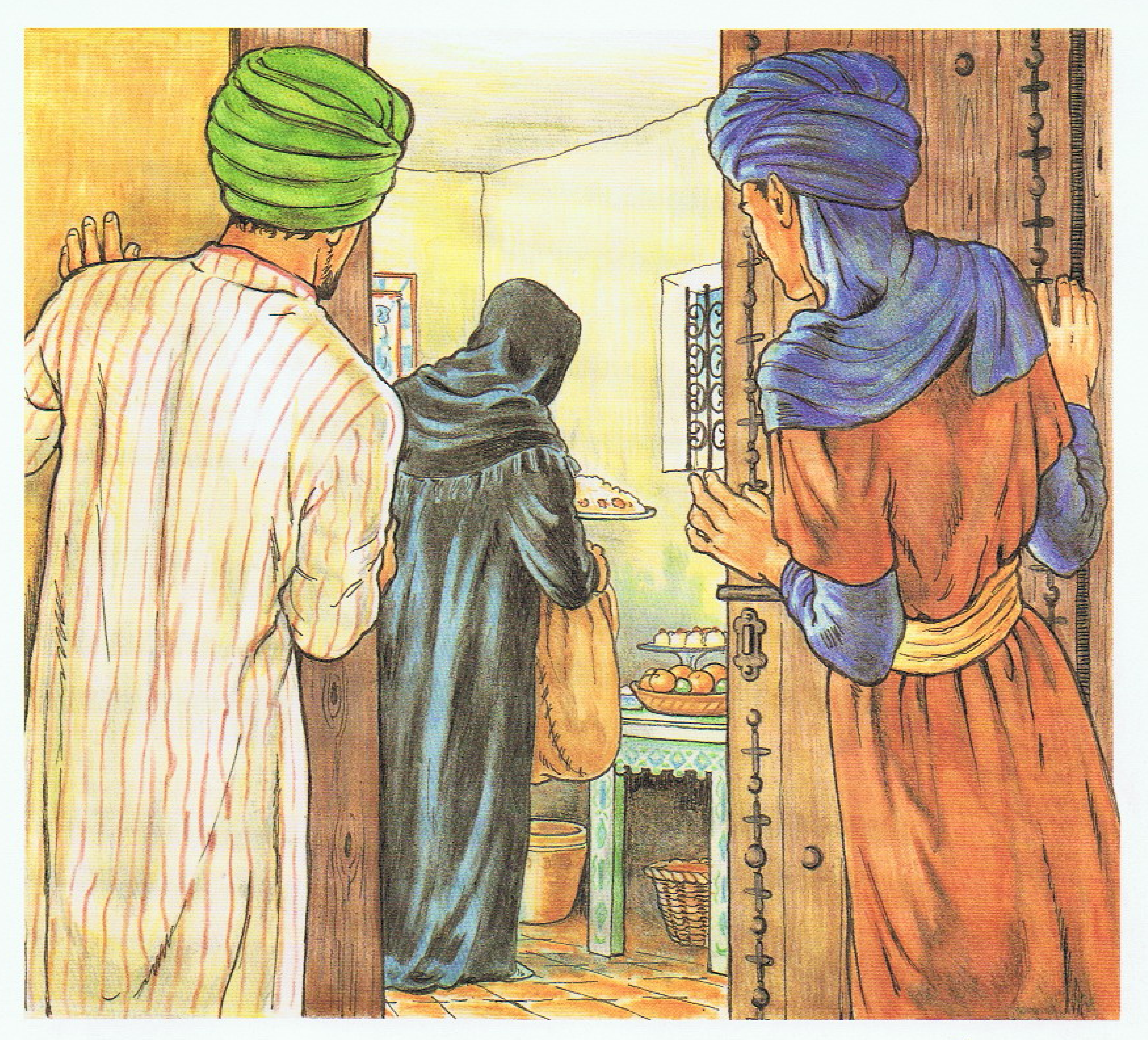
وَبِفَضْلِ ثَرْوَتِهِ مِنَ الجواهِرِ وَخُرْجِهِ العَجيبِ اسْتَطاعَ الشّاطِرُ خَضِرٌ شِراءَ قَصْرٍ فَخمٍ عاشَ فيهِ مَعَ والِدَتِهِ بِراحَةٍ وَهَناءٍ.

وَسُرْعانَ ما عَلِمَ سالِمٌ وَسَليمٌ بِعَوْدَةِ أَخيهِما إلى البَلَدِ، وَما أَصْبَحَ عَلَيْهِ مِنْ ثَراءٍ. وَكانا في حالٍ يُرْثى لَها بَعْدَما بَدَّدا مالَ أُمِّهِما في العَبَثِ وَالطَّيْشِ.

وَقَرَّ قَرارُهُما عَلى التَّقَرُّبِ مِنْ خَضِرٍ مُجَدَّدًا، فَقَصَداهُ في قَصْرِهِ مُطَأْطِئَيِ الرَّأْسِ وَاعْتَذَرا بِإِفْراطٍ ظاهِرٍ عَمّا بَدَرَ مِنْهُما طالِبَيْنِ الصَّفْحَ وَالغُفْرانَ.

وَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهُما حينَ قَبِلَ خَضِرٌ اعْتِذارَهُما دُونَ تَرَدُّدٍ. فَرَحَّبَ بِهِما لِيَنْزِلا في بَيْتِهِ، وَأَقامَ لَهُما وَليمَةً فاخِرَةً.





وَهكَذا أَقامَ سالِمٌ وَسَليمٌ مَعَ الشّاطِرِ خَضِرٍ وَوالِدَتِهِمْ في رِحابِ قَصْرِهِ البَديعِ يَنْعَمونَ بِعَيْشٍ رَغيدٍ وَمَعينٍ لا يَنْضَبُ مِنْ أَفْخَرِ الأَطْعِمَةِ.

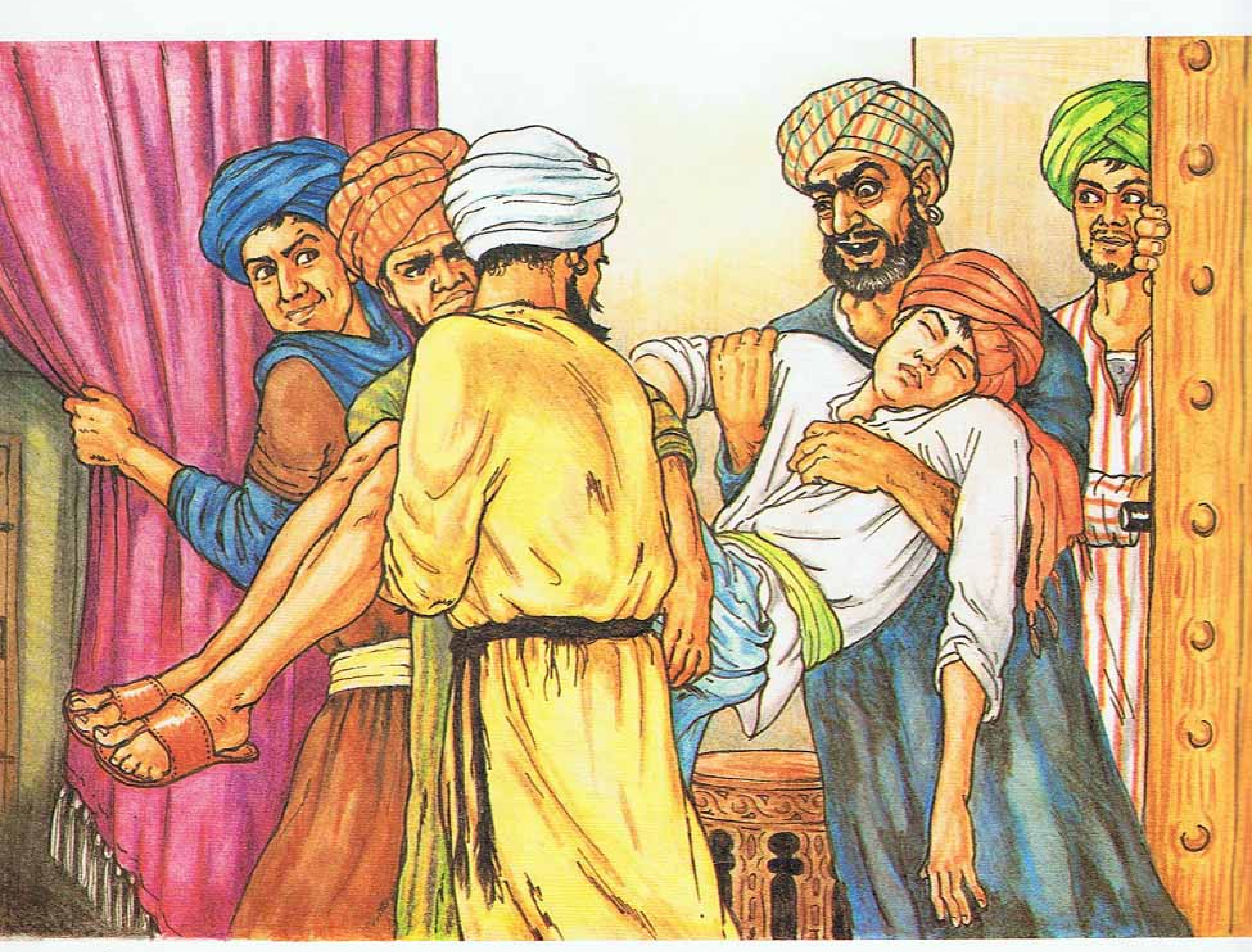
وَلَمْ يَطُلِ الوَقْتُ حَتّى لاحَظَ سالِمٌ وَسَليمٌ أَنَّهُ رُغْمَ تَوافُرِ الأَطْباقِ الطّازَجَةِ مِنْ كُلِّ ما تَشْتَهيهِ الأَنْفُسُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ في المَنْزِلِ أَثَرٌ لِطَبْخٍ وَلا لِطَبّاخينَ.

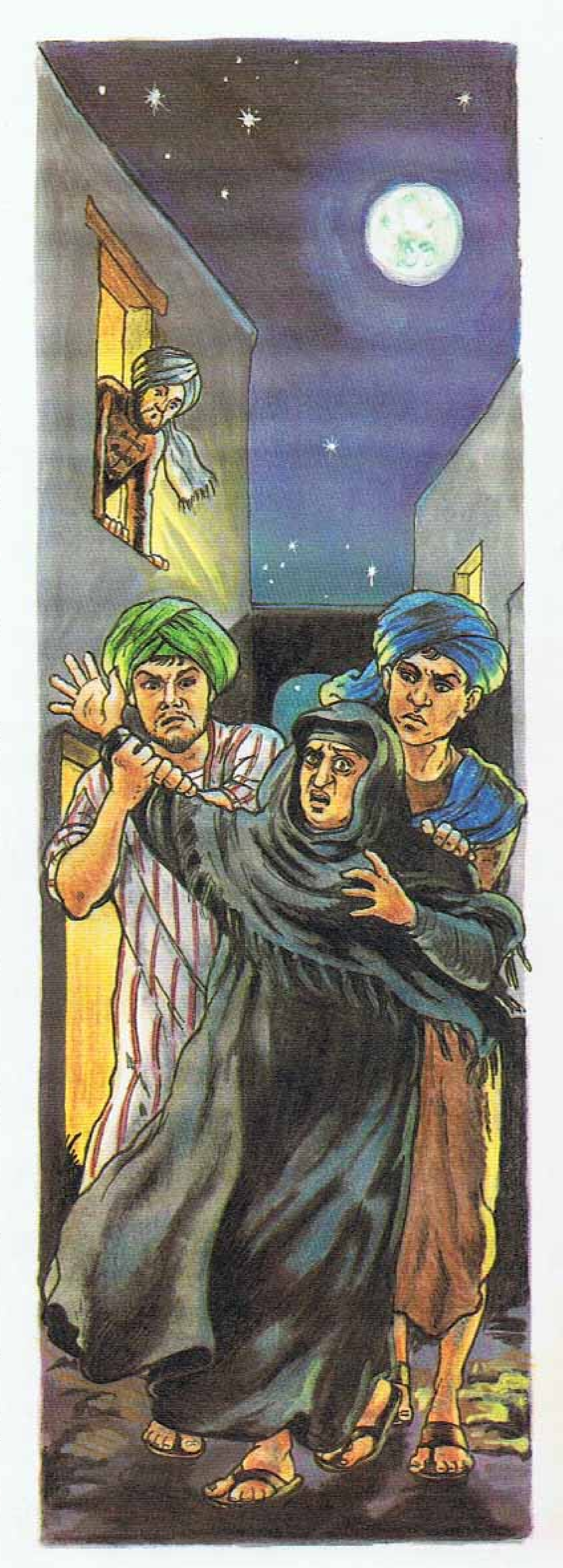
وَذاتَ يَوْمٍ انْتَهَزا فُرْصَةَ تَغَيُّبِ خَضِرٍ خارِجَ البَيْتِ فَسَأَلا والِدَتَهُما أَنْ تُزَوِّدَهُما بِوَجْبَةٍ خَفيفَةٍ. وَعِنْدَما قَصَدَتْ مَكانَ حِفْظِ الخُرْجِ تَبِعاها خُلْسَةً - فَعَرَفا مِنْها سِرَّ الخُرْجِ دُونَ أَنْ تَدْرِيَ.

وَبَرَقَ الجَشَعُ الجاحِدُ في عُيونِهِما لِلْحالِ ، وَطَمِعا في أَنْ يَكونَ الخُرْجُ لَهُما وَحْدَهُما. وَكانَ لا بُدَّ مِنْ خُطَّةٍ شَيْطانِيَّةٍ لِإِبْعادِ الشّاطِرِ خَضِرٍ وَالتَّخَلُّصِ مِنْهُ.

فَذَهَبا إلى رُبّانِ سَفينَةٍ مِنْ مَعارِفِهِما وَأَخْبَراهُ أَنّ لَهُما أَخًا شَرِسًا يُسيءُ مُعامَلَةَ والِدَتِهِ ، وَأَنَّهُما عَلى اسْتِعْدادٍ لِدَفْعِ نَوْلٍ سَخِيٍّ إنْ هُوَ حَمَلَ أَخاهُما في إحْدَى سُفُنِهِ القاصِدَةِ إلى بِلادٍ بَعيدَةٍ وَتَرَكَهُ هُناكَ.

وَدُبِّرَتِ المُؤامَرَةُ ؛ فَأَقْنَعَ الجَحودانِ أَخاهُما خَضِرًا بِدَعْوَةِ الرُّبّانِ وَبَعْضِ بَحّارَتِهِ إلى العَشاءِ لِلتَّعارُفِ. وَخِلالَ العَشاءِ دَسّا لَهُ مُنَوِّمًا في طَعامِهِ. وَحينَ أَخَذَ المُنَوِّمُ مَفْعولَهُ حَمَلَ البَحّارَةُ خَضِرًا مَعَهُمْ وَانْصَرَفوا.





وَانْطَلَقَتِ السَّفينَـةُ مُتَّجِهَـةً إلى المَغْرِبِ الأَقْصى وَجُزُرِ غَرْبِ إفْريقِيَةَ. وَكانَ عَلَيْها الشّاطِرُ خَضِرٌ مُكَبَّلًا بِالأَصْفادِ وَالسَّلاسِلِ إلى عَمودٍ في ظَهْرِ السَّفينَةِ.

وَفي هٰذِهِ الأَثْناءِ كانَ سالِمٌ وَسَليمٌ يُعَلِّلانِ لِأُمِّهِما غِيابَ الشّاطِرِ خَضِرٍ بِحُبِّهِ الهَوَسِيِّ لِلأَسْفارِ. فَقالَ سالِمٌ مُتَنَهِّدًا: «هٰذا تَصَرُّفٌ طائِشٌ مِنْ خَضِرٍ أَنْ يَقومَ بِمِثْلِ هٰذِهِ الأَسْفارِ دُونَ أَيِّ اكْتِراثٍ.» وَسَكَتَتِ الأُمُّ على مَضَضٍ.

وَما هِيَ إلّا أَيّامٌ حَتّى قَرَّرَ سالِمٌ وَسَليمٌ اقْتِسامَ ثَرْوَةِ خَضِرٍ وَمُمْتَلَكاتِهِ فيما بَيْنَهُما. لٰكِنَّ الخِلافَ دَبَّ بَيْنَهُما حَوْلَ مَنْ سَيَسْتَأْثِرُ بِالخُرْجِ العَجيبِ، وَقَرَّ رَأْيُهُما أَخيرًا عَلى قَصِّهِ فَيَأْخُذُ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما عَيْنَةً.

وَحينَ اعْتَرَضَتِ الأُمُّ عَلى قَصِّ الخُرْجِ قائِلَةً إنَّ ذٰلِكَ سَيَقْضي عَلى قُدُراتِهِ، رَفَضَ الأَخَوانِ اعْتِراضَها **وَالْتِماساتِها**. وَاشْتَبَكا مَعَها في جِدالٍ غاضِبٍ طَرَداها عَلى أَثَرِهِ مُوَلْوِلَةً خارِجَ البَيْتِ.

وَصادَفَ أَنَّ ضابِطًا في الحَرَسِ المَلَكِيِّ، كانَ جارًا لِخَضِرٍ، سَمِعَ الجَلَبَةَ وَالوَلْوَلَةَ فَخَرَجَ مُسْتَفْسِرًا. وَحينَ عَلِمَ بِحَقيقَةِ ما جَرى أَمَرَ بِإلْقاءِ القَبْضِ عَلى سالِمٍ وَسَليمٍ وَإيداعِهِما السِّجْنَ.

وَكانَتِ السَّفينَةُ الّتي تَحْمِلُ الشّاطِرَ تَعْبُرُ مَضيقَ جَبَلِ طارِقٍ إلى بَحْرِ الظُّلُماتِ حِينَ هَبَّتْ عَلَيْها عاصِفَةٌ هَوْجاءُ. وَاكْتَسَحَتِ العاصِفَةُ السَّفينَةَ كَأَوْراقِ الخَريفِ **مُطَوِّحَةً** بِها فَوْقَ صُخورِ الشّاطِئِ السَّوْداءِ حَيْثُ تَحَطَّمَتْ إلى أَلْفِ شَقَفَةٍ وَشَقَفَةٍ!

وَمَزَّقَ عَزْمُ العاصِفَةِ وَعُنْفُ التَّحَطُّمِ أَغْلالَ الشّاطِرِ خَضِرٍ الَّذي اسْتَطاعَ السِّباحَةَ إلى الشّاطِئِ، فَكانَ النّاجِيَ الوَحيدَ مِنْ بَيْنِ رُكّابِ السَّفينَةِ التِّسْعينَ!



وَمَشى الشّاطِرُ خَضِرٌ في ذُهولٍ مُبْتَعِدًا عَنِ الشّاطِئِ لا يَدْري إلى أَيْنَ. فَكانَ لِضَعْفِهِ مِنَ السَّجْنِ وَالقَيْدِ، وَلِشِدَّةِ الحَرِّ لا يَكادُ يَسْتَطيعُ التَّحَكُّمَ في تَوْجيهِ رِجْلَيْهِ لِضَبْطِ حَرَكَتِهِما الواحِدَةِ تِلْوَ الأُخْرى.

وَظَلَّ في مَشْيِهِ المُتَرَنِّحِ ساعاتٍ حَتّى أَتى إلى بَلَدٍ بَدا مَأْلوفًا لَدَيْهِ. وَلَمْ يَكُنْ هٰذا البَلَدُ سِوى بَلَدِ صَديقِهِ عَبْدِ الصَّمَدِ، إِنَّهُ في فاس وَمِكْناس ثانِيَةً!

وَالْتَقاهُ عَبْدُ الصَّمَدِ بِالتَّرْحابِ وَالاهْتِمامِ. وَاسْتَضافَهُ في بَيْتِهِ عِدَّةَ أَيّامٍ حَتّى اسْتَعادَ نَشاطَهُ وَحَيَوِيَّتَهُ. لٰكِنَّ الشّاطِرَ كانَ **تَوّاقًا** إلى العَوْدَةِ سَريعًا إلى مِصْرَ لِلاِطْمِئْنانِ عَلى والِدَتِهِ وَحِمايَتِها.





وَقَبْلَ أَنْ يُغادِرَ خَضِرُ فاسَ وَمِكْناسَ ناوَلَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ خاتَمَ الشَّمَرْدَلِ قائِلًا : «هٰذا نَصيبُكَ مِنْ أَذْخارِ الشَّمَرْدَلِ. إِنِّي أُقَدِّمُهُ لَكَ لِأَطْمَئِنَّ عَلى سَلامَتِكَ وَمُسْتَقْبَلِكَ. لَقَدْ حَدَّثْتُكَ عَنْ هٰذا الذُّخْرِ سابِقًا. أُفْرُكْهُ فَيُلَبِّيَ جِنِّيُّ الرَّعْدِ الهَدّارِ، خادِمُ الخاتَمِ، كُلَّ رَغَباتِكَ.»

فَشَكَرَ الشّاطِرُ صَديقَهُ وَعانَقَهُ مُوَدِّعًا. ثُمَّ فَرَكَ الخاتَمَ فَظَهَرَ لَهُ الجِنِّيُّ وَسَطَ سَحابَةٍ مِنَ الدُّخانِ. فَقالَ خَضِرُ آمِرًا : «خُذْني إِلى بَلَدي - إِلى حَيْثُ والِدَتي الحَبيبَةُ.»



وَما كادَ الشّاطِرُ يُتِمُّ جُمْلَتَهُ حَتّى وَجَدَ نَفْسَهُ في بَيْتِهِ ، وَرَأى والِدَتَهُ وَحيدَةً حَزينَةً مُضْطَرِبَةً . فَأَخْبَرَتْهُ بِما جَرى لَها مَعَ سالِمٍ وَسَليمٍ ، وَكَيْفَ انْتَهى بِهِما الأَمْرُ إلى سِجْنِ المَدينَةِ الرَّهيبِ .

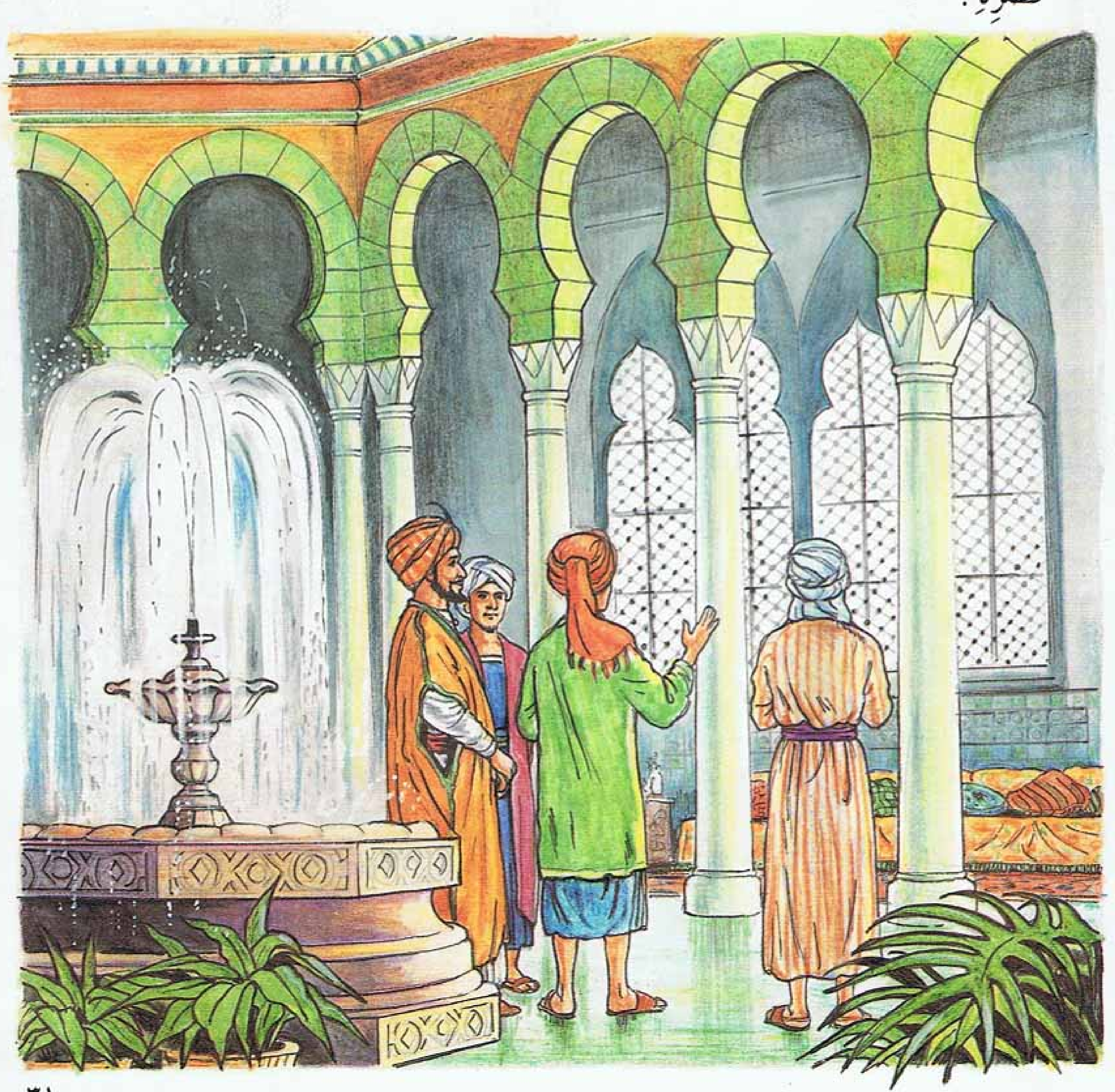
فَقالَ خَضِرٌ : «سَيُطْلَقُ سَراحُهُما فَوْرًا .» وَاسْتَدْعى جِنِّيَّ الخاتَمِ بِفَرْكَةٍ ، وَقالَ يَأْمُرُهُ : «اِذْهَبْ إلى السِّجْنِ فَأَطْلِقْ سَراحَ أَخَوَيَّ ، وَعُدْ بِهِما إلى هُنا .»

فَرَدَّ الجِنِّيُّ : «مَوْلايَ يَأْمُرُ ، وَأَنا أُطيعُ !» وَما هِيَ إلّا لَحَظاتٌ حَتّى ظَهَرَ الجِنِّيُّ في حُجْرَةِ احْتِجازِ سالِمٍ وَسَليمٍ ، فَجَمَدَ الدَّمُ في عُروقِهِما رَهْبَةً لِمَرْآهُ . وَلَمْ يَعْبَأِ الجِنِّيُّ بِخَوْفِهِما فَحَمَلَهُما وَعادَ بِهِما مُسْرِعًا إلى حَضْرَةِ الشّاطِرِ خَضِرٍ .

وَعِنْدَما عادَ الجِنِّيُّ بادَرَهُ الشّاطِرُ قائِلًا: «اِبْنِ لي قَصْرًا فَخمًا اللَّيْلَةَ، وَزَوِّدْهُ بِالخَدَمِ وَالأَتْباعِ وَالأَثاثِ كَيْ أَعِيشَ وَعائِلَتي في رَغَدٍ.»

وَانْحَنى الجِنِّيُّ بِخُشُوعٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ يَعْكِفُ عَلى مُهِمَّتِهِ. وَفي اليَوْمِ التّالي كانَ يَقومُ في المَوْقِعِ الّذي كانَ فيهِ بَيْتُ الشّاطِرِ خَضِرٍ قَصْرٌ رائِعٌ فَريدٌ.

وَذُهِلَ أَهْلُ المَدينَةِ لِهٰذا الإِنْجازِ العَجائِبِيِّ. حَتّى إِنَّ مَلِكَ البِلادِ حِينَ وَصَلَتْهُ الأَخْبارُ جاءَ لِإِلْقاءِ نَظْرَةٍ عَلَيْهِ. وَانْتَهَزَ الشّاطِرُ الفُرْصَةَ فَدَعا المَلِكَ إِلى جَوْلَةٍ في أَرْجاءِ قَصْرِهِ.



وَأُعْجِبَ المَلِكُ كَثيرًا بِالشّاطِرِ خَضِرٍ وَتَبادَلَ وَإِيّاهُ الزِّيارات في عِدَّةِ مُناسَباتٍ. وَفي زيارَةٍ لَهُ إلى قَصْرِ المَلِكِ أُعْجِبَ الشّاطِرُ بالأَميرَةِ ابْنَتِهِ الرّائِعَةِ الجمالِ، فَطَلَبَ يَدَها لِلزَّواجِ. وَنالَ طَلَبُهُ مُوافَقَةَ المَلِكِ الَّذي أَحَبَّهُ كابْنٍ لَهُ.

وَحِينَ تَقاعَدَ وَزيرُ المَلِكِ الأَوَّلُ اخْتيرَ الشّاطِرُ خَضِرٌ لِيَحُلَّ مَكانَهُ كَرَئيسٍ لِمَجْلِسِ الوُزَراءِ. وَبِفَضْلِ حِكْمَتِهِ وَحُسْنِ إدارَتِهِ وَذُخْرِ الشَّمَرْدَلِ نَظَّمَ الشّاطِرُ خَضِرٌ بَلاطًا مُمَيَّزًا اشْتُهِرَ بِالعَدْلِ وَالفَضْلِ وَالعِلْمِ في أَنْحاءِ المَعْمورِ.

وَفي أَحَدِ أَجْنِحَةِ القَصْرِ، أَقامَ سالِمٌ وَسَليمٌ، تَتَقاسَمُهُما مَباهِجُ الحَياةِ الجَديدَةِ وَسَوْآتُ الماضي القاتِمَةُ. لٰكِنَّهُما صَمَّما عَلى أَلّا يَعودا إلى الغِشِّ وَالمُراوَغَةِ، وَعَلى أَنْ يَكونَ في المُسْتَقْبَلِ مِنَ الوَفاءِ وَعِرْفانِ الجَميلِ ما يَغْسِلُ الماضِيَ مِنْ آثامِهِ، وَيُطَهِّرُهُ مِنْ أَدْرانِهِ.



مَسْرَدُ الكَلِماتِ المَشْروحَةِ

أَدْران : أَوْساخ .

الْتِماساتها : طَلَبُها بِنَوْعٍ مِنَ التَّضَرُّعِ .

أَوْمَأَ : أَشارَ .

بارًّا : وَفِيًّا .

بِرْذَون : الفَرَسُ غيرُ الأَصيلِ ؛ وَهُوَ غَيْرُ العَرَبِيِّ .

تَأَنٍّ : تَمَهُّلٌ وَرِفْقٌ .

تَتَبَرْعَصانِ : تَتَحَرَّكانِ بِسُرْعَةٍ وَاضْطِرابٍ .

تَفُحُّ : تُصَوِّت ، وَالفَحيحُ : صَوْتُ الأَفْعى .

تَوّاقًا : مُتَشَوِّقًا .

حَفيظَة : غَضَب .

خَوَّضَ : نَزَلَ وَمَشى .

الرُّقى : جَمْع رُقْيَة ، وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الكَلامِ يُظَنُّ أَنَّهُ يَشْفي المَريضَ وَنَحْوَه .

صَقيل : مَجْلُوٌّ وَناعِمٌ .

طَأْطَأَ : أَحْنى وَخَفَضَ .

عَزائِمُ : جَمْع عَزيمَة ، وَهِيَ الرُّقْيَةُ .

الفَلَوات : جَمْعُ فَلاة . وَهِيَ الأَرْضُ الواسِعَةُ المُقْفِرَةُ .

مُتَخافِتَة : مُنْخَفِضَةُ الصَّوْتِ .

مُطَوَّحَة : مُلْقِيَة .

مَضَض : أَلَم ، وَيُقالُ : فَعَلَ الشَّيْءَ عَلى مَضَضٍ : كارِهًا مُتَأَلِّمًا .

وَدَّرا : بَذَّرا وَبالَغا في صَرْفِ المالِ .

الوَهْن : الضُّعْفُ وَفَقْدُ الحَيَوِيَّةِ .

مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح ، ص.ب : ٩٤٥-١١

بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى ،

طُبِعَ في لبنان

رقم الكتاب 01 C 195607





حِكايات مَحْبُوبَة ـ ٦. الابْن الطَّيِّب وَاخْوَاه الجحُودان

في **كُتُبِ الفَراشَةِ** سَلاسِلُ تَتَناوَلُ أَلْوانًا مِنَ المَوْضوعاتِ في العُلومِ المُبَسَّطَةِ والأَدَبِ القَصَصِيِّ والحَضاراتِ. ويُراعى فيها سِنُّ القارِئ ، مادَّةً وأُسْلوبًا وإخْراجًا .

كُتُبُ الفَراشَةِ تَمْتازُ بِالتَّشْويقِ الشَّديدِ ، وبِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ ، وبِمَعارِفَ جديدَةٍ قَريبَةِ المُتَناوَلِ ، وبِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ صافِيَةٍ وواضِحَةٍ . إنَّها كُتُبُ مُطالَعَةٍ مُمْتازَةٌ .

مَكتبة لبنان

رقم الكتاب 195607 C 01